بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا نحن نَزَّلْنَا الذِكرَ و إِنَّا لَهُ لَحافِظونَ ﴾

« صدق الله العظيم »

[سورة الحِجْر : الآية ٩]

وقفت فى المدخل الذى قدمت به لهذه السلسة من أحاديث القلوب عند تفرد القرآن من بين ما يعرف البشر من الكتب التى توصف بأنها مقدسة بأنه الكتاب الوحيد من بين ما أوحى الله إلى أنبيائه الذى وصل إلينا كما أنزله الله كاملاً لفظاً لفظاً ، وحرفاً حرفاً . وكما بلغه الرسول إلى الناس فى حينه ، ثم سجل بالكتابة على نحو لا يداخل أحداً الشك فيه .

والآية التى أبدأ بها من بين الآيات التى اخترتها تعتبر من بين البينات الكبرى على أصالة النص القرآنى وسلامته من كل مظنة تحريف أو شك فى صدوره عن الخالق سبحانه . فإن سورة الحجر كلها مكية ، أى أنها نزلت والإسلام فى دور الصراع العنيف مع المكيين ، وكان المسلمون عند تنزيلها قلة مطاردة ، ومعظمهم كان قد هاجر إلى الحبشة ، وبقى رسول الله فى مكة مع نفر قليل من أصحابه يتمسكون بدينهم كالقابض على الجمر .

وكان رسول الله يسرع بتبليغ ما أنزل إليه من ربه على من حضره من أصحابه الذين يقرءون ويكتبون ، وكانت الكتابة العربية نفسها فى دور التكوين . فكانت الكلمات تكتب بدون نقط والحروف متشابهة ، وأدوات الكتابة غير ميسرة أو مهذبة ، وكذلك كانت المادة التى تكتب عليها الآيات ، والآيات

كانت مفرقة عند من كتبوها وبعضهم يكتب آيات اليوم . ثم يغيب غدا ومعه ماكتب ، وقد يهاجر إلى الحبشة ، حقاً كان رسول الله يحفظها جميعاً ، وكان نفر ممن حوله يحفظونها ويرددونها ويصلون بها ، ولكن النصوص المدونة نفسها ـ وعليها المعول فى النهاية ـ كانت رهن الضياع ، فمن آلاء رب العزة أن يقول لرسوله الكريم فى تلك الظروف إنه هو ينزل الذكر وهو حافظ له من الضياع ، وسياق الآيات قبل هذه الآية وبعدها يؤكد إعجازها ، لأن آيات القرآن وسوره كلها كل واحد مترابط ، والله سبحانه ينظم الآيات فى نسق يجعل بعضها يؤيد بعضاً ويزيده بياناً :

﴿ ما نُنزلُ الملائِكة إلا بالحق وما كانُوا إذَنْ مُنظرِينَ . إنا نحن نَزَّلنا الذكرَ وإنَّا له لحافظُونَ . ولَقد أَرسلْنا مِن قبلكِ فِى شِيعِ الأولِين . وما ياتيهِم مِن رسُول إلا كانُوا بِهِ يَسْتَهزِئُونَ ، كذلِك نسلُكه فِى قلُوبِ المجرِمين ﴾ .[الحجر ٨ ـ ١٢]

وهذه الآيات تصف ظروفاً تشبه الظروف التى كان رسول الله وصحبه يعيشون فيها عندما أنزلت هذه الآيات ، وهناك من يقرءون حرف مِنْ الوارد فى الآية العاشرة مَن . . بفتح الميم ، أى أنها ضمير لا حرف . والمعنى هنا أننا أرسلنا من أرسلنا قبلك فى جماعات الأولين الذين كانوا يستهزئون بالرسل ، ولكن الله سبحانه يسلك الذكر فى قلوب المجرمين بقدرته سبحانه ، ويحفظ كلامه من الضياع لأنه منهاج الإنسانية ونبراسها الخالد .

ثم إننا نقرأ فى سورة القيامة ، وهى مكية أيضاً ، وقد أنزلت فى نفس ظروف الاضطهاد والمعاناة التى أنزلت فيها الآيات السابقة ، وكان رسول الله ﷺ لشدة حرصه على ألا تفوته من القرآن كلمة ، لا يكاد يسمع ما يوحيه إليه الله حتى يبدأ فى تلاوته ، والله سبحانه فى الآيات التى سنوردها الآن يطمئنه على أنه كفيل

بجمعه وضامن لحسن تلاوته ، ثم تَبْيِينِهِ وشرحه للناس بعد ذلك ، فهذه رسالته الأخيرة إلى البشر ، وهى جامعة لكل ماسبق أن أوحاه الله إلى من سبقه من الرسل ، فلابد أن تبقى كاملة إلى آخر الزمان ، وإذا كانت الرسالات السابقة قد وكلت إلى الناس فضيعوها ، فهذه الرسالة المحمدية يتكفل بها الله سبحانه فلا يضيع منها حرف ، بل لا يغيب من معانيها معنى قال جل جلاله فى سورة القيامة :

﴿ لا تُحرك بِهِ لِسانك لِتَعْجَل بِه . إِن عَلينا جَمعَه وقُرآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْناهُ فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُم إِن علينا بيانه ﴾ . . [القيامة ١٦/ ١٩]

وهذه بينة جلية على أن القرآن وحى من الله لرسوله ، فالمتحدث هنا هو الله وهو يعرف الظروف التى كان يعيش فيها رسوله الكريم عندما أوحيت إليه تلك الآيات ، وهى ظروف اضطهاد ومطاردة وخوف على الرسالة ، فهو برفقه وحنانه على رسوله يطمئنه على آياته ، فهو يقول له : (لا عليك ولا ينالنك خوف أن تضيع منك منه كلمة ، فلا تعجل بتلاوته وانتظر حتى يفرغ وحيه إليك . فإننا كفيلون بجمعه ، وجعل الناس يقرءونه ، فإذا فرغ الوحى فاقرأه كما تُلى عليك ، ونحن لن نحفظه كاملاً فحسب ، بل نحن سنبينه ونوضحه للناس على أحسن مايكون البيان والتوضيح) .

وهذا كلام لا يقوله إلا خالق الكون علام الغيوب ، فهو يعرف ما كان وما سيكون ، وسنرى بعد قليل كيف سخر الله البشر لجمع آيات هذا القرآن الذى تنزل على رسول الله آيات متفرقات ، وحفظه بهذا فى كتاب مصون أو مصحف . ومن المعروف أن التنزيل أو القرآن هو كلام الله ، وأن المصحف هو كلام الله المدون فى صحف مجموعة فى كتاب واحد .

وهذه الآيات البينات تساق فى سورة جميلة من سور الفترة المكية ، هى سورة

القيامة ، وقد قلنا إننا نرى أن كلام الله فى كتبه العزيز كل واحد مترابط ، وإذا كانت الآيات قد أنزلت منجمة فإن الله الذى تعهد بجمعها قدر مساقها ونسقها وارتباطها بعضها ببعض فى صياغة معجزة ، فالمعانى تتوافق وتتكامل فى الروح والمعانى وإن تفرقت فى الظاهر ، أو بدت متفرقة بمن يقرأ بعينيه دون قلبه وإحساسه ، فإن القرآن قوت القلوب أو ثمار القلوب ، وفهمه على وجهه لا يتم إلا إذا قرأته بعينك ، أو من حفظك فمر على قلبك ، ومن قلبك إلى لسانك ، فاسمع - هداك الله - إلى ماسبق الآيات التى نحن بصددها من آيات سورة القيامة وهى الخامسة والسبعون فى ترتيب المصحف :

﴿ لا أُقسمُ بيومِ القيامةِ . ولا أُقسمُ بالنفس اللوامة . أَيحسب الإنسان أن لَن نجمع عِظامهُ . بَلىَ قَادرين على أَن نُسوِى بَنانهُ . بل يُريدُ الإنسانُ ليفجُر أمامهُ . يسالُ أيان يوم القيامةِ . فإذا برِق البَصرُ . وخسَف القمرُ . وجُمع الشمسُ والقمرُ . يقُول الإنسانُ يومئذٍ أين المفرُ . كلا لا وزرَ . إلى ربك يومئذٍ المستقرُ . يُنبأ الإنسانُ يومئذ بِما قدمَ وأخر ، بل الإنسانُ على نفسِه بصيرةٌ . ولو ألقى معاذِيره . لا تُحرك بِهِ لِسانك لتَعْجَلَ بِهِ ﴾ .

[القيامة : الآيات ١ - ١٦] .

فانظر والله إلى إبداع المساق ، وحسن النسق والسياق ، فالله يريد أن يؤكد أن بعث الإنسان حقيقة لا شك فيها ، وإذا كان بعض المكابرين لا يتصورون ذلك ، لأنه يتخطى أفهامهم ، فنحن لن نبعث الإنسان حيا فحسب ، بل إننا قادرون على أن نعيده كما كان ، حتى أصابعه نعيدها كما كانت . وهنا موضع ملاحظة بالغة العمق لصديقنا الأديب الطبيب الفقيه الدكتور مصطفى محمود الذى ينظر فى القرآن نظر الطبيب العالم ، وهو يقول : « إن اختصاص الله البنان

أى الإصبع بالذكر هنا يراد به بصمات الأصابع التى لا يتشابه فيها انسانان ، كما لا يتشابهان تمام التشابه فى ملامح الوجه وسماته » ، وهذا تخريج علمى حديث .

فالحق سبحانه يقسم بيوم القيامة ، وبنفس الإنسان التى ستلومه يوم القيامة ، وتحاسبه على مافعل . أن الساعة آتية لا ريب فيها . وأن الله سيجمع عظام كل إنسان كما كان . حتى رسوم بصمات أصابعه . ولكن الإنسان الغافل عن يوم الحساب يريد أن يفعل مايشاء قبل ذلك اليوم . فإذا أتى يوم الحساب برق بصر الإنسان ، وخسف القمر ، وطوى الشمس والكون . وهذا تصوير بالغ البيان لبعض ماسيكون يوم القيامة ، فإن الشمس والأرض والقمر وكل المجموعة الشمسية ستطوى طياً .

يومها يطلع الإنسان على كل مافعل : ماقدم منه وما أخر ، ويعرف ببصيرته أن كل مايواجه به من خطاياه حق ، ويرى أنه لا مفر من الله إلا إلى الله وإلى الله مستقرنا جميعاً ولا فرار من العقاب مهما قدم الإنسان من المعاذير .

فإذا كان الأمر كذلك فلا بأس عليك يامحمد ولا ضير ، واطمئن واستمع إلى مايوحى إليك ، ولا تعجل بتلاوته مخافة ضياعه ، فإن علينا جمعه وقرآنه ، وهذا مثل من كثير سنأتى به على ترابط الآيات ترابطاً معنوياً داخلياً ، وإن بدا لنا أنها متفرقات .

ويدخل فى معنى تصوير القرآن لحالة رسول الله ﷺ خلال الفترة المكية وما كلن يعانيه من المشركين قول الله سبحانه فى آخر سورة الإسراء :

﴿ ولاَ تَجْهَرْ بِصلاتِك ولا تُخافتْ بها . وابتغ بَيِنَ ذلك سَبيلاً . وقُل الحمد لله الذى لم يَتخِذ وَلداً ولم يكُن لهُ شريكٌ فِى المُلك ، ولمَ يكُن لهُ ولىٌ مِن الذُلِ وكبِرهُ تكبيراً ﴾ . [الإسراء ١٧/ ١١٠ ـ ١١١] .

فإن رسول الله ﷺ خلال الفترة المكية الثالثة وهى الأخيرة التى كان فيها الإسراء به إلى بيت المقدس والعروج به إلى السماء تكريماً له وإظهاراً لمحبة الله إياه بعد ما كان من موت أبى طالب وخديجة ، ووقوفه وحده بلا نصير أمام الأعداء الذين ظنوا أن أمره قد وهن بعد وفاة أبى طالب حاميه وخديجة رضى الله عنها وكانت خير المعين له على ماكان يلاقى فى تلك الظروف . كان رسول الله إذا قام لصلاته فى المسجد وجهر بها نهض له من أشرار المكيين وسخفاء المشركين من يحاكيه ويردد كلامه ترديداً سخيفا ، ليخرجه عن صلاته أو يفسده عليه ، وهنا يأمره الله بألا يجهر بصلاته جهراً يسمعه المشركون وتضيق له نفوسهم ، إذ أنهم كانوا ينفرون من آيات الله ولا يحبون سماعها لجحود قلوبهم وغرورهم بأنفسهم ، وهو كذلك يأمره بألا يخافت بصلاته صوته فلا تسمع ، ولكن عليه أن يصلى بصوت وسط ، وليحمد الله الواحد الصمد الذى لم يتخذ ولداً ولا كان له شريك .

ومن طريف مايحكى ابن كثير فى تفسيره لآية الجهر والمخافتة فى الصلاة قوله : قال ابن جرير (يريد الطبرى) : حدثنا يعقوب حدثنا ابن عُلَيَّةَ عن سلمة ابن علقمة عن محمد بن سيرين قال : نُبِّئْتُ أن أبا بكر كان إذا صلى فقرأ خفض صوته ، وأن عمر كان يرفع صوته ، فقيل لأبى بكر : لِمَ تصنع هذا ؟ قال: أناجى ربى عز وجل . وقد علم حاجتى فقيل : أحسنت . وقيل لعمر : لِمَ تصنع هذا ؟ قال : أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان قيل : أحسنت . فلما نزلت : ﴿ **ولا تَجْهَرْ بصَلاتكَ ولا تُخافِتْ بها وابتغِ بين ذَلِكَ سَبيلاً** ﴾ قيل لأبى بكر : ارفع شيئاً ، وقيل لعمر : اخفض شيئاً . . (تفسير بن كثير . طبعة دار الشعب بالقاهرة ٥/ ١٢٧) . وقد رواه الطبرى أيضاً مختصراً (انظر تفسير الطبرى بتحقيق الشيخين محمود وأحمد شاكر ـ طبعة دار المعارف ١٥/ ١٢٤) وأنا أحكيه هنا لطرافته لا قطعاً بصحته .

والآن ، وبعد أن تحدثنا عن معجزة الله فى وعده حفظ قرآنه من الضياع ، فلنرو بقية القصة لنرى كيف سخر الله عباده لجمع القرآن وتثبيت نصه ليظل كما أوحاه الله على نبيه إلى أن يطوى الله الأرض وما عليها ، وبقية الحكاية هذه معجزة علمية أجراها الله على أيدى عباده من المؤمنين الصادقين .

عندما قبض رسول الله وانتقل إلى الرفيق الأعلى كان نفر من المسلمين قد جمعوا القرآن فى صدورهم ـ أى حفظوه ـ ويذكر الرواة منهم ستة كلهم من الأنصار هم : أبىُّ بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو الدرداء وسعد ابن عبيد وأبو زيد ، وهو رجل من عمومة أنس بن مالك ، ويضيف بعض الرواة إلى هؤلاء عليًا بن أبى طالب وأبا موسى الأشعرى وعثمان بن عفان وتميم الدارى ، وفى الاثنين الأخيرين شك ، والبخارى فى باب فضائل القرآن من صحيحه يقتصر على أربعة كلهم من الأنصار هم : زيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب وأبو زيد . والروايات هنا كثيرة جداً ، فهناك مثلاً من يضيفون أبا أيوب خالد بن زيد الأنصارى .

وكان معظم المسلمين يحفظون الكثير من سور القرآن وآياته ، ولكن هؤلاء هم الذين اشتهروا بجمع معظم القرآن فى صدورهم ، ومن المؤكد أن جبريل كان يراجع القرآن مع رسول الله بين الحين والحين ، وأن رسول الله عندما لقى ربه كان نص القرآن كله ثابتا كما أنزله الله فى صدور المسلمين وإن كان مفرقاًبينهم . ويذهب بعض الرواة من الشيعة أو ذوى الميول الشيعية مثل المؤرخ اليعقوبى أن علياً بن أبى طالب كان على رأس الحفاظ ، بل يذهب نفر من هؤلاء إلى أن القرآن كله كان محفوظاً فى صدر على بن أبى طالب ، والشيعة يروون القرآن برواية على بن أبى طالب عن طريق الإمام محمد الباقر مرة ، والإمام جعفر الصادق مرة أخرى ، وقد اشتهر من المسلمين نفر بحفظ الكثير من آى القرآن ، ويقال إن هؤلاء هم الذين عرفوا فى تاريخنا باسم القراء ، وإن كان هناك خلاف كثير حول

ماهية جماعة القراء ، ومتى ظهروا ، وفى موقعة عقرباء وهى إحدى المعارك التى خاضها المسلمون مع مسيلمة الكذاب وجماعته قتل الكثيرين من حفظة القرآن من الأنصار خاصة ، ومن ذلك الحين بدأ اهتمام أبى بكر بتدوين القرآن قبل أن يموت معظم حفظته ، وكانت تلك المعركة فى ذى الحجة سنة ١١ هجرية / يناير ٦٣٣ م . وكان الذى تنبه إلى ذلك عمر بن الخطاب ، فأفضى إلى أبى بكر بمخاوفه ، فنادى أبو بكر رجلاً من أفاضل حفظة القرآن فى المدينة هو زيد بن ثابت ، وأمره بأن يدون القرآن فعكف على ذلك معتمداً على حفظه ، ولم يكتف بذلك بل مضى يراجع حفظه وماجمع من مدونات الآيات بما عند غيره من الصحابة ، وكان الكثيرون يحتفظون بقطع من الخشب أو الجلود أو العظم ، مدونة عليها آيات من القرآن ، فلم يدع زيد أحداً ممن علم أن عنده من القرآن شيء إلا رجع عليه وأخذ ماعنده ، وكان أبو بكر وعمر من أكثر الناس حفظاً للقرآن ، فكانا أكبر معينين لزيد فى عمله الجليل .

وعندما نعلم مَنْ هو زيد بن ثابت ، نتأكد من أن اختيار أبى بكر وعمر إياه لم يكن مصادفة ، فقد كان فى هذا الرجل نسيج عالم حق ، والاسم الكامل لزيد أنه زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان من بنى مالك بن النجار الخزرجيين ، ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانت سن زيد إحدى عشرة سنة ، وقد توسم فيه رسول الله النجابة لأول ماعرفه ، فضمه إليه ، وقد تحمس زيد للإسلام حماسة بالغة ، وأراد الخروج مع المسلمين يوم بدر ، ولكن رسول الله رده لصغر سنه ، وكانت أول المشاهد التى شارك فيها معركة الخندق ، فكان أثناء حفره يعمل بهمة عالية ، ورآه الرسول فقال : « إنه نعم الغلام » ، وكانت راية المسلمين يوم تبوك مع عمارة بن حزم ، وكان من فضلاء الصحابة فأخذها رسول الله ودفعها إلى زيد ، فقال عمارة : « يارسول الله بلغك عنى شيء ؟ قال لا . . ولكن القرآن مقدم ، وزيد أكثر أخذاً للقرآن منك » وهذا يدل على أمرين :

الأول : أن زيدا كان معروفاً للرسول بكثرة حفظه للقرآن .

وثانيها : أن القرآن راية الإسلام .

وكان زيد يقرأ ويكتب يوم عرفه الرسول فجعله من كتاب الوحى عنه ، ويقال : إن زيداً كان إذا سمع عن آية أملاها رسول الله لغيره سعى إليه فسمعها منه وحفظها ، وشيئاً فشيئاً نجد زيداً قد أصبح كاتب الرسول وملازمه معظم الوقت ، ويحكى ابن سعد فى الطبقات أن زيداً كان يكتب لرسول الله ﷺ الوحى وغيره ، وكانت ترد على رسول الله ﷺ كتب بالسريانية فأمر زيداً أن يتعلمها فتعلمها ، ويقول فى خبر آخر يرويه زيد بنفسه فيقول : قال لى رسول الله ﷺ : « إنه تأتينى كتب من أناس لا أحب أن يقرأها أحد ، فهل تستطيع أن تتعلم كتابة العبرانية ؟ أو قال السريانية ؟ فقلت نعم ! قال : فتعلمتها فى سبع عشرة ليلة ، وفى خبر ثالث تقرأ أن رسول الله أول مادخل زيد فى خدمته طلب إليه أن يتعلم العبرانية وقال له : تعلم كتاب اليهود (يريد كتابتهم) فإنى والله ما آمن اليهود على كتابى . قال : فتعلمته فى أقل من نصف شهر ، وسواء تعلمها فى نصف شهر أو أكثر ، فالمهم لدينا أن زيداً تعلم السريانية والعبرانية بأمر الرسول ﷺ ، وأن زيداً كان صاحب سر الرسول فى أمر ما كان يرد عليه من الكتب . وأنه خدم الرسول والإسلام بمعرفته اللغوية هذه ، وزيد على هذا يمكن اعتباره أول عالم فى تاريخ الإسلام ، فقد عرف لغتين إلى جانب العربية ، وهذه الأخبار متواترة فى كل كتب الحديث والأثر . ولو لم يكن زيد على هذا العلم الواسع لوجدنا فى الأخبار من يشكك فيها ، بل كان رسول الله يوجهه فى أمر الكتابة ، فقد روى أن زيداً قال : دخلت على رسول الله وهو يملى فى بعض حوائجه فقال : « دع القلم على أذنك فإنه أذكر للمملى » .

وإلى جانب ذلك كان زيد أعرف الصحابة بالفرائض ، أى بحساب

حصص المواريث على ما فى كتاب الله . ويمكن أن تكون الفرائض هى الحساب جملة ، فإن الفرائض فى الإسلام كثيرة ، فهى تدخل فى قسم الفيء والمغانم ، ومعنى هذا أن الرجل كان ماهراً فى الحساب كذلك ، قال رسول الله ﷺ : « أفرض أمتى زيد بن ثابت » ، وروى ابن سعد فى الطبقات بسنده قال : ماكان عمر ولا عثمان يقدمان على زيد بن ثابت أحداً فى القضاء والفتوى والفرائض والقراءة ، وروى ابن سعد خبراً آخر يقول : خطب عمر بن الخطاب بالجابية فقال : من كان يريد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت ، وروى أيضاً أن عمر بن الخطاب استعمل زيد بن ثابت على القضاء وفرض له رزقاً ، وقال : كان عمر يستخلف زيد بن ثابت فى كل سفر يسافره ، وكان يفرق الناس فى البلدان ويوجهه فى الأمور المهمة ويطلب إليه الرجال المسلمون فيقال له : زيد بن ثابت يريد أنهم كانوا يطلبون زيداً بالاسم ، فيقول عمر : لم يسقط علىَّ مكان زيد ، ولكن أهل البلد يحتاجون إلى زيد فيما يجدون عنده فيما لا يجدون عند غيره ، وروى ابن سعد عن شيخه الواقدى بسند صحيح : كان زيد بن ثابت مترأساً بالمدينة فى القضاء والفتوى والقراءة والفرائض فى عهد عمر وعثمان وعلىَّ فى مقامه بالمدينة ، وبعد ذلك بخمس سنين حتى ولى معاوية سنة أربعين ، فكان كذلك أيضاً حتى توفى زيد سنة خمس وأربعين (٦٦٥ م) فكأن زيداً توفى عن ست وخمسين سنة هجرية ، فقد سبق أن ذكرنا أن سنه عند الهجرة كان إحدى عشرة سنة ، وممن أخذ العلم عنه سعيد بن المسيب ، وكان سعيد يقول : لا أعلم لزيد بن ثابت قولاً لا يعمل به مجمع عليه فى الشرق والغرب ، وكان عبد الله بن عمر يسميه عالم الناس . . .

هذا هو الرجل الذى عهد إليه أبو بكر فى جمع القرآن ، فهل تظن أن وجوده إلى جانب الرسول صلوات الله عليه وخلفائه الراشدين وقيامه بجمع القرآن كان مصادفة . لقد قال الله سبحانه فى قرآنه إن عليه جمع القرآن وإقراءه الناس

وتبيينه لهم . وله سبحانه حكمة تخفى علينا فى إنفاذ مراداته .

يقول أبو داود السجستانى فى كتاب « المصاحف » وأبو عمرو الدانى فى كتاب « القراءات » وغيرهما من الحجج فى تاريخ القرآن إن زيداً دون القرآن كاملاً فى صحف ، وجعل الصحف مصحفاً ، وقد حاول نفر من المستشرقين ممن اجتهدوا فى البحث عن أشياء يشككون الناس بها فى صحة النص القرآنى من أمثال نولدكه وشغالى وبرجشتريس وأجناس جولد تسيهر وكازانوفا وريجى بلاشير . جعل هؤلاء وغيرهم يفحصون ويدرسون ويحللون دون جدوى ، واضطروا فى النهاية إلى الاعتراف بصحة تدوين زيد وميلاد المصحف الأول .

فرغ زيد من عمله وأودع هذا المصحف عند حفصة أم المؤمنين وهى بنت عمر بن الخطاب ، وكثر عدد القراء وحفظة القرآن ، فلما كان فتح أرمينية أيام عثمان بقيادة حذيفة بن اليمان استمع هذا الصحابى الجليل إلى جنده فى صلواتهم وأحاديثهم فراعه اختلاف النص القرآنى على ألسنتهم ، فكتب إلى عثمان بن عفان يستغيث ويسأله فيما يصنع ، فأدرك عثمان خطورة المسألة ، فاستشار الصحابة ، واستقر رأيهم على ضرورة تثبيت النص القرآنى فى صورة واحدة حتى لا يختلف الناس فى حرف من حروف كتاب الله الكريم ولا لفظ ، ولم يجد عثمان أقدر على القيام بهذه المهمة من زيد بن ثابت ، وكان بعض الصحابة قد كتبوا مالديهم من حفظهم ، واعتبروا ماعندهم مصاحف ، وكان بينها وبين مصحف زيد بن ثابت الأول خلاف فى بعض الألفاظ وترتيب الآيات والسور ، ومن هؤلاء أبى بن كعب وعبد الله بن مسعود . فعهد عثمان إلى زيد فى القيام بمراجعة النص الذى كتبه من سنوات قليلة ، وضم إليه ثلاثة من أوثق الناس إيماناً وحفظاً ، وهم : عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث . وهناك روايات أخرى فى تكوين هذه « اللجنة » ولكننا نأخذ هنا بما يقوله الإمام البخارى فى باب فضائل القرآن من صحيحه . وقد بذلت هذه الجماعة أقصى

جهدها فى القيام بهذا العمل الجليل ، فأخذ زيد وأصحابه الصحف التى كانت عند السيدة حفصة وراجعوها على حفظ من كان لديه شيء من القرآن ، ومازالوا يجتهدون حتى فرغوا من مهمتهم على خير وجه ، وأخذ عثمان هذا المصحف وراجعه مع من رأى من الصحابة وانتهى أمرهم إلى إقراره . وهنا قام عثمان بالعمل الأكبر الذى يخلده فى التاريخ ، ويكتب الله له به الجنة ، استنسخ من هذا المصحف أربع أو ست نسخ وأرسلها إلى الأمصار ، وجمع ماعدا ذلك مما كان يتمسك به أبى بن كعب ، وماكان يعتز به عبد الله بن مسعود وأحرقها جميعاً حتى لا يكون فى أيدى الناس إلا هذا المصحف الواحد الذى سمى من ذلك الحين بالمصحف العثمانى الذى لا شك فى أنه يضم كلام الله سبحانه حرفاً حرفاً ولفظاً لفظاً ، بل ثبت فيه ترتيب الآيات والسور ، وقد لج عبد الله بن مسعود لجاجاً شديداً فى الاحتجاج لما كان يسميه مصحفه ، ولكن عثمان والصحابة ثبتوا على هذا المصحف ، وعندما نقرأ أمثلة من اختلافات ماكان عند عبد الله بن أبى أو عبد الله بن مسعود مع مصحفنا العثمانى عند رجل مثل السيوطى صاحب الإتقان فى علوم القرآن نجد أنها لم تكن بذات بال .

وهكذا صدق الله سبحانه وحفظ قرآنه .

وقد بدأت هذه المقالات بآيات الله سبحانه التى تبشر المسلمين بحفظ كلامه وقراءته وبيانه ، لأن القرآن هو أساس الإسلام الحاوى لمنهج الله سبحانه .

***